«يوسف أيها الصديق»

[فوائد وفرائد من سورة يوسف]

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم
الرياض ١١٤٤٢ ص. ب ٦٣٧٣
ت/ ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس/ ٤٠٣٣١٥٠


بسم الله الرحمن الرحيم

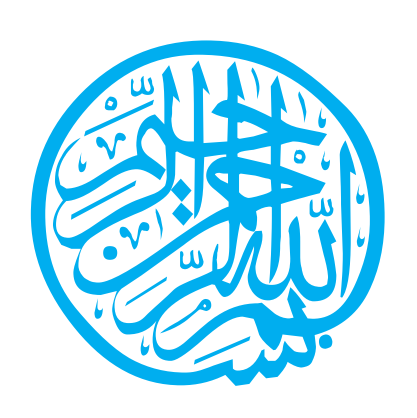
ح دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاسم، عبد الملك محمد
يوسف أيها الصديق (فوائد وفرائد من سورة يوسف)./ عبدالملك
محمد القاسم ــ الرياض، ١٤٣٥هـ
٧٢ ص ؛ ... سم
ردمك: ٠ ـ ٧١٦ ـ ٥٣ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨
١ ـ يوسف (عليه الصلاة والسلام) ٢ ـ القرآن ـ سورة يوسف ـ تفسير
٣ ـ قصص القرآن أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٧،٦ ٣٠٤٤/١٤٣٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٣٠٤٤
ردمك: ٠ - ٧١٦ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ. ٢٠١٤م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع
المكتب الرئيس: **هاتف:** ٤٠٩٢٠٠٠ ــ **فاكس:** ٤٠٣٣١٥٠
فروع دار القاسم للنشر
السويدي: **هاتف:** ٤٢٤٣٥٥٥ ــ **فاكس:** ٢٦٧٦٧٠٩
الربوة: **هاتف:** ٤٤٥٢٠٤٥
جدة: **هاتف:** ٦٠٢٠٠٠٠ ــ **فاكس:** ٦٣٣٣١٩١
الدمام: **هاتف:** ٨٤٣١٠٠٠ ــ **فاكس:** ٨٤١٣٠١١
بريدة: **هاتف:** ٣٢٦٢٨٨٨ ــ **فاكس:** ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط: **هاتف:** ٢٢٢٢٢٦١ ــ **فاكس:** ٢٢٢٣٠٥٠
www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com


بسم الله الرحمن الرحيم

يوسف أيها الصديق

د. عبد الملك القاسم

يوسف أيها الصديق

د. عبد الملك القاسم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في زمن المحن والإحن، وحين يُظن أن الدروب أغلقت والأبواب أوصدت.

هناك آيات تتلى، وعبر تُرى، ومواعظ تترى، ونور يستضاء به ويهتدى.

هي بين يديك - أخي القارئ - قصة غريبة عجيبة، أحداثها طويلة، وتقلباتها سريعة، وساعاتها أليمة، ونهايتها سعيدة، لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة، وقد وردت كاملة من أولها إلى آخرها في سورة طويلة لم يذكر فيها الجنة أو النار خلافاً للسور المكية.

وفيها معرفة ما أصاب الأنبياء وما نالهم من اللأواء، وما نزل بهم من الشدة والعناء، وهم صفوة خلق الله ورسله.

هذه السطور إلماحة وتفكر في سورة (يوسف).

نطل على بعض لطائفها وطرائفها، وفرائدها وفوائدها... من كلام أهل العلم والمفسرين.

ففيها نفس تستريح... وهموم تنجلي... وغموم تزول... وسلوى لحزين... وثبات على الطريق... في عجالة من الوقت ولحظات الزمن[1].

(١) هذه السورة وفوائدها أخذتها من كتابي: «المجالس القرآنية في تدبر السور والآيات» مع بعض الإضافات.



سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب ـ عليهما السلام ـ وما لاقاه من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد، من إخوته ومن الآخرين، في بيت عزيز مصر، وفي السجن، وفي تآمر النسوة، حتى نجاه الله من ذلك الضيق.

والمقصود بها تسلية النبي ﷺ بما مر عليه من الكرب والشدة، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد. في آيات وعِبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدى والرشاد، لما فيها من التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن منة إلى منة، ومن ذلة ورق إلى عزّ ومُلك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وإدراك غايات، ومن حزن وترح إلى سرور وفرح، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة فتبارك من قصها ووضحها وبينها.

قصة يوسف

هي قصة عجيبة جرت فيها أحداث طوال وأمور ذات بال، وقعت لنبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، سلالة أنبياء. الحديث فيها

عن الكــــريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، أنها قصة نبي الله يوســــف، ابن نبي الله يعقوب، ابن نبي الله إســــحاق، ابن نبي الله وخليله إبراهيم ـ عليه الســـلام ـ اصطفـــاه ورفعه ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحــج: ٧٥]، ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

❊ قصـــة تبدأ مع طفولته وتنتهـــي بنهاية أجله، فقد عاش معاناة الطفولـــة بفقد الأبوين، وفراق الأهــــل والأصحاب وتبعتها مرحلة الحياة المرفهة في القصر، ثم دخول السجن سنين عدداً، ثم أخرجه الله ليتبـــوأ مكان الـــوزارة، وتمت له النعمة برؤيـــة أبويه بعد طول فراق. وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ اسم يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن ستاً وعشرين مرة، منها أربعاً وعشرين في سورة يوسف.

منها ما ذكره الله ـ عز وجل ـ في سورة غافر أن يوسف ـ عليه السلام ـ نبي مرسل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ ﴾ [غافر: ٣٤].

نظم الآيات

والســـورة الكريمة أســـلوب فذ فريد، في ألفاظهـــا، وتعبيرها، وأدائها، وفي قصصها الممتع اللطيف، تســـري مع النفس ســـريان الـــدم في العروق، وتجري ـ برقتها وسلاســـتها ـ في القلب جريان

الروح في الجسـد، فهي وإن كانت من السور المكية، التي تحمل ـ فـي الغالب ـ طابع الإنذار والتهديد، إلا أنه اختلفت عنها في هذا الميدان، فجاءت طرية ندية، وفي أسلوب ممتع لطيف، سلس رقيق، يحمل جو الأنـس والرحمة، والرأفة والحنان، ولهذا قال خالد بن معدان: سورة يوسف ومريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة.

وقال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها.

مراتب الصبر

وقال ابن الجوزي: لما سجنت في واسط مكثت سنة اختم في كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف حزناً على ولدي يوسف.

وفـي السـورة تجلت مراتب الصبـر التي نالها يوسـف ـ عليه السلام ـ.

فصبر الصبـر الاضطراري: وهو صبره علـى أذية إخوته، وما ترتب عليها من بُعده عن أبويه، وصبره في السجن بضع سنين.

ومن الصبر الاختياري: صبره عن مراودته سيدته امرأة العزيز مع وجود الدواعي القوية من جمالها، وعلو منصبها، وكونها هي التي راودته عن نفسه، وغلقت الأبواب، مع جمال باهر وشوق ظاهر؛ وهو في ريعان الشباب، في بلد غريب لا يُعرف فيها.

مراتب العدل والعفو

وكما أنه ـ عليه السـلام ـ كمل مراتب الصبر، فقد كمل مراتب العدل والإحسان للرعية حين تولى خزائن البلاد المصرية.

وكَمَّل أيضاً مراتب العفو والكرم حين عفى عن إخوته.

تسلية للرسول ﷺ

نزلت السورة الكريمة على رسول الله ﷺ بعد سورة هود، في تلك المدة الحرجة العصيبة من حياة الرسول ﷺ، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد أن فقد ـ عليه الصلاة والسلام ـ نصيرته: زوجه الحنون العاقلة الراشدة، أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ، وعمه أبا طالب الذي كان له خير نصير وخير معين، وبوفاتهما اشتد الأذى والبلاء على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، حتى عرف ذلك العام بـ عام الحزن.

في تلك الحقبة العصيبة من حياة الرسول الكريم، وفي ذلك الوقت الذي كان يعاني فيه الرسول والمؤمنون؛ الوحشة، والغربة، أنزل الله ـ سبحانه ـ على نبيه الكريم هذه السورة تسلية له، وتخفيفاً لآلامه، بذكر قصص المرسلين، وكأن الله ـ تعالى ـ يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن يا محمد ولا تتفجع لتكذيب قومك، وإيذائهم لك، فإن بعد الشدة فرجاً، وإن بعد الضيق مخرجاً، انظر إلى أخيك يوسف وتمعن ما حدث له من صنوف البلايا والمحن، وألوان الشدائد والنكبات، وما ناله من ضروب المحن: محنة حسد إخوته وكيدهم له، ومحنة رميه في الجب، ومحنة تعلق امرأة العزيز به وعشقها له، ثم مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتنة والإغراء، ثم

محنة السجن بعد ذلك العز ورغد العيش.

عاقبة التقوى

انظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة، وصبر على الضر والبلاء، نقله الله من السجن إلى القصر، وجعله عزيزاً في أرض مصر، وملكه الله خزائنها، فكان السيد المطاع، والعزيز المكرم؛ وهكذا أفعل بأوليائي، ومن صبر على بلائي، فلا بد أن توطد النفس على تحمل البلاء، اقتداءً بمن سبقك من المرسلين والأنبياء.

هكذا جاءت قصة يوسف الصديق تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه، وجاءت تحمل البشر والأنس، والراحة والطمأنينة لمن سار على درب الأنبياء، فلا بد من الفرج بعد الضيق، ومن اليسر بعد العسر، وفي السورة دروس وعبر، وعظات بالغات، حافلات بروائع الأخبار العجيبة، والأنباء الغريبة.

سلوى القلب

هذا هو جو السورة، وهذه إيحاءاتها ورموزها؛ تبشر بقرب النصر، لمن تمسك بالصبر، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين، والدعاة المخلصين، فهي سلوى للقلب، وبلسم للجروح، وقد جرت عادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواطن عديدة، بقصد العظة والاعتبار ولكن بإيجاز دون توسع، لاستكمال جميع حلقات القصة، وللتشويق إلى سماع الأخبار دون سآمة أو ملل، وأما سورة

يوسف فقد ذكرت حلقاتها هنا متتابعة بإسهاب وإطناب، ولم تكرر في مكان آخر كسائر قصص الرسل، لتشير إلى إعجاز القرآن في المجمل والمفصل، وفي حالتي الإيجاز والإطناب، فسبحان الملك العلي الوهاب.

الإعجاز

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، وبألفاظ متباينة، على درجات البلاغة والبيان، وذكر قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر، ولا على معارضة غر المكرر، والإعجاز واضح لمن تأمل، وصدق الله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.. [يوسف: ١١١].

وسورة يوسف كاملة ليس فيها ذكر الجنة ولا النار، بل أحداثها تدور حول ما جرى ليوسف ـ عليه السلام ـ من المبتدأ إلى المنتهى.



قال ـ تعالى ـ في أول السورة: ﴿الٓر﴾ إشارة إلى الإعجاز، فمن هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات الكتاب المعجز.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ كل سورة تبتدئ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن، وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب.

وقال الزمخشري ـ رحمه الله ـ: كل سورة افتتحت بالحروف، فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك ـ يا محمد ـ هي آيات الكتاب المعجز في بيانه، الساطع في حججه وبراهينه، الواضح في معانيه، الذي لا تشتبه حقائقه، ولا تلتبس دقائقه، مبين والله بركته وهداه ورشده.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ أي: أنزلناه بلغة العرب كتاباً عربيّاً مؤلفاً من هذه الحروف العربية؛ لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها، وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل الله أشرف الكتب بأشرف اللغات،

وعلى أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتداء إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه.

أحسن القصص

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ أي: نحن نحدثك يا محمد ونروي لك أخبار الأمم السابقة، بأصدق كلام، وأحسن بيان وأجمل عبارة.

وقيل: ﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى أعجب.

وقيل المراد منه قصة يوسف ـ عليه السلام ـ خاصة، سمّاها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم، والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك، والعلماء ومكر النساء، والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد.

ـ وقيل: لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة.

ـ وقيل: لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها.

ـ وقيل: لحسن محاورة يوسف وإخوته، وصبره على أذاهم، وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء، وكرمه في العفو.

- وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة، والشياطين والإنس والجن، والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضاً ذكر التوحيد والفقه والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة، والمعاشرة وتدبير المعاش.

وفيها من أصول تعبير الرؤى ومقاصدها كما في رؤيا يوسف، ورؤيا أصحاب السجن، ورؤيا الملك وأنها تقع من المؤمن والكافر.

- وقيل: فيها ذكر الحبيب والمحبوب.

وقيل سورة يوسف أحسن القصص لاشتمالها على حاسد ومحسود، وعاشق ومعشوق، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وحابس ومحبوس، وخصب وجدب، وحزن وفرح، وغنى وفقر، ومنام ويقظة.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: في قصة يوسف أنواع من العبرة للمظلوم، والمحسود، والمبتلى بدواعي الفواحش والذنوب.



الرؤيا

ها هو يوسف غلام صغير، شب في رعاية أبوين كريمين، حياته نهاراً مع أترابه وفي المساء مع أقرانه... لكنه لما جن ليلٌ وأخذته سنة النوم رأى أمراً وشاهد عجباً.. فكان ملجأه بعد الله ـ عز وجل ـ والده ليخبره بما رأى وليعلمه بما جرى.. يسرع نحو أبيه نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ.. قال ـ تعالى ـ يذكر ذلك الأمر: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

في هذه الآيات أسلوب رائع من أساليب التعامل بين الأب وابنه، فيعقوب ـ عليه السلام ـ يربي أبنائه على الرجوع إليه كلما حدث لهم ما يثير انتباههم، حتى يوجههم التوجيه المناسب، ولهذا فيوسف ـ عليه السلام ـ يرى الرؤيا فيبادر بقصها على أبيه ولا يتردد، وهذا يشير إلى طبيعة العلاقة الحميمة بينهما.

التعبير فكان جواب والده: نصحية وتوجيه عن خبرة ودراية، ومحبة وشفقة:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف: ٥].

لما قص عليه ابنه الصغير رؤياه أولاها الأب النبي ـ وحسبك بالنبوة شغلاً ـ ما تستحقه من الاهتمام، فلا هو أهملها كما يفعل الكثيرون، ولا هو بالغ في الاهتمام بها والتحذير من عواقبها، وكثير من الناس يظن أن رؤيا الأطفال لا أهمية لها، ولا يُعبأ بها ولا يضيع الوقت بالالتفات إليها، والواقع أنها قد تكون أصدق من رؤى الكبار، لأنهم ما زالوا على الفطرة ولم يتعودوا الكذب، وفي الحديث الصحيح: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**».

وفي قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥] ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ كلمة قرب واستعطاف لصغيره، وإظهار مودة ومحبة.

وهنا نلحظ أمرين: أن النهي جاء معللاً وأن التعليل تعليل حكيم، مع أنه يخاطب غلاماً صغيراً، وهذا من حسن تربية يعقوب ـ عليه السلام ـ.

وفي قوله: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف: ٥].

جواز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره.

وفيما بعد علم يعقوب ـ عليه السلام ـ من هذه الرؤيا أن ابنه لن يموت مبكراً، وسوف يكبر ويبلغ مبلغاً عظيماً.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

النعمة

إن نعمـــة الله علـــى العبد نعمة على من يتعلـــق به من أهل بيته وأقاربـــه وأصحابه، وأنه ربما شـــملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ولما تمت النعمة على يوســف حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.



بداية الطريق

من هنا تبدأ قصة يوسف مع إخوته، وهي بداية رحلة طويلة شاقة من المعاناة والابتلاء، قال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] آيات لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال؛ فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات ولا بالقصص والبينات.

فقد سعى أخوة يوسف لإبعاده عن والده، وبدأو يدبرون عملهم، ويحزمون أمرهم، ويكيدون كيدهم للتخلص من يوسف بدعوى أن يصفو لهم قلب أبيهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ [يوسف: ٨ ـ ٩].

من فوائد هذه القصة أنه يتعين على الإنسان أن يعدل بين أولاده. فإن ذلك أقرب إلى صلاح الأبناء واجتماعهم، واتفاقهم فيما بينهم، وبرهم بأبيهم، وقد كان السلف يسوون بين أبنائهم حتى في القُبلة.

وفي الحديث أنه كان مع رسول الله ﷺ رجل فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه، قال: «فهلا عدلت بينهما» [السلسلة الصحيحة].

❁ ولما سمع يعقوب ـ عليه السلام ـ مقالتهم ورغبتهم أخذ يوسف معهم خاف على صغيره أن يناله سوء، أو يصيبه مكروه: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣﴾ [يوسف: ١٣].

إن الإنسان إذا ظن سوءاً بإنسان، فلا يصلح أن يلقنه حجة لأنه يستخدمها عليه، ولذلك يعقوب لما قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ هو لقن أبناءه حجة استعملوها بعد ذلك.

الجب

وعندما رضي الأب بعد إلحاح بخروج يوسف وقبل بذلك، وحرَّصهم عليه.. انطلق الصبي معهم، فحانت الفرصة وتشاوروا في أمره والقضاء عليه، فمنهم من قال نقتله، ومن هم من أخذته الرأفة، فقال نلقيه في الجب يلتقطه من عبر على الطريق.. ثم كان منهم ما كان وغُيِّب الغلام في ظلمات الجب..

وهو في تلك المصيبة العظيمة، والوحشة.. يوحي الله ـ عز وجل ـ إلى وليه ليسري عنه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف: ١٥] وهذا من لطف اللطيف بأوليائه وأحبابه.

❊ وبدأت مهمة أخرى لإخوته؛ فتشاوروا في عذر مناسب وتبرير مقبول يذكرونه لأبيهم، فكان أن قدموا الفعل قبل القول، قال ـ تعالى ـ يصف حالهم: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [يوسف: ١٦].

هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وإمعاناً في المخادعة وقلب الحقائق، قدموا شاهداً أمامهم.

القميص

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ أي: جاؤوا على ثوب يوسف بدم كاذب، زعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب «كاذب»، وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه.

قال ابن عباس: ذبحوا شاة ولطخوا بدمها القميص، فلما جاؤوا يعقوب قال: كذبتم لو أكله الذئب لخرق القميص، وروي أنه قال: ما أحلم هذا الذئب أكل ابني ولم يشق قميصه. وذلك أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فلم يصدقهم أبوهم بذلك.

امرأة العزيز

أما يوسف فقد أحزنه ما جرى وبقي في الجب حيناً ينتظر الموت أو الحياة، فكان الفرج أقرب وهو يرى دلواً ينزل إليه من أعلى البئر، فتمسك به حتى صعد، ورأى قوماً ليسوا بأهله ولا إخوته،

وسمعهم يستبشرون به ويتشاورون في أمره وماذا يصنعون به.

فأخذوه إلى سوق بلدتهم وعرضوه للبيع، فكان قدر الله ـ عز وجل ـ أن يكون المشتري عزيز مصر.. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

ولا يزال لطف الله بعبده، فبعد أن حجب الشيطان في قلوب إخوته معاني الأخوة، قذف الله في قلب عزيز مصر معاني الأبوة، فكان الجب ثم القصر.. وكاد إخوه يوسف وأرادوا له الموت، وكان عزيز مصر متفائلاً به فرحاً به أن ينفعه بل وأن يتخذوه ولداً له.

غالب على أمره

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

والله غالب على أمره حيث أراد يعقوب أن لا يكيده إخوته فكادوا.

ثم أراد إخوة يوسف قتله، فلم يقدّر لهم.

ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة، فيندرس أمره، فعلا أمره.

ثم باعوه ليكون مملوكاً فغلب أمره حتى ملك.

وأرادوا أن يعطفوا أباهم فأباهم.

ثم أرادوا أن يغروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألقوه على القميص فلم يخف عليه.

ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين، فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ [يوسف: ٩٧].

ثم أرادوا أن يمحوا محبته من قلب أبيه، فازدادت.

ثم أرادت امرأة العزيز أن تلقي عليه التهمة بقوله: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥]، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها.

وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي، فنسي الساقي حتى لبث في السجن بضع سنين.



مرت الليالي والأيام ويوسف في بحبوبة ورغد عيش، حيث نشأ في حال من الغنى والسعة، والدعة والراحة.. محبوب من عزيز مصر، وزوجته رأت فيه من الجمال والحسن ما بدأ يأخذ لبها ويجعله كل اهتمامها. أما ربنا ـ عز وجل ـ فإنه أنعم عليه بنعمة أعظم ومنّة أكبر.. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف: ٢٢].

في الآية تنبيه على أنه كان محسناً في عمله متقياً في عنفوان أمره. ودل هذا على أن يوسف وفّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة.

ويرد في سورة يوسف صفة الإحسان، فقد كان يوسف ـ عليه السلام ـ محسناً مع ربه، ومع والديه، ومع إخوته، ومع الناس، ومن أحسن إلى الناس بأعماله، أحسن الله إليه برحمته.

الامتحان الصعب

لما ذكر ـ تعالى ـ ما أكرم به يوسف من الإقامة في القصر مع عزيز مصر، ذكر هنا ما تعرض له ـ عليه السلام ـ من أنواع الفتنة والإغراء من زوجة العزيز، وثباته أمام تلك الفتنة العارمة، وما ظهر

منه من العفة والنزاهة حتى آثر دخول السجن على عمل الفاحشة، وكفى بذلك برهاناً على عفته وطهارته.

وهنا بدأت محنة أخرى ليوسف، فبعد أن فقد أبويه وما جرى له في الجب... وقعت المحنة في قصر تربى فيه ونشأ وعاش ودرج.. قال تعالى:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

بعد أن صبر يوسف اضطراراً حين ألقي في الجب وأصبح رقيقا.. جاءه نوع آخر من الصبر أعظم أجراً وأبين صبرا... ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ هذه هي المحنة الثالثة، بعد محنة الجب والاسترقاق، وهي أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة.

والمراودة: الطلب برفق ولين، كما يفعل المخادع بكلامه المعسول.

والمعنى: طلبت امرأة العزيز التي كان في بيتها منه أن يواقعها، ودعته برفق ولين إلى فعل الفاحشة، وتوسلت إليه بكل وسيلة فهو غلامها وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر، فهو أعزب، وغريب في بلد لا يُعرف.

ولم يقل في الآية: امرأة العزيز، أو زليخا؛ بل قال ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ قصداً إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها.

* ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

مع أن هذه الآيات تتعلق بقصة حب أعمى وشهوة جامحة إلا أنك تجد العفة أثناء التصوير الدقيق، والأسلوب البديع لم يحترق بتأجج النزوات وإثارة الشهوات من أجل الحبكة والإثارة الأدبية. بل تبرز معاني العفة وإظهارها وبيان معانيها، وفي آيات القرآن الكثير من الكلمات التي تؤدي المعنى، ولا تفضي إلى ما يجرح الشعور ويبرز الفعل بصورة أو بأخرى ومن ذلك:

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ...﴾ [النساء: ٢١].

﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣].

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الفرار ثم ذكر ـ تعالى ـ يوسف وامرأة العزيز وما جرى بينهما من الحديث حيث فر يوسف هارباً نحو الباب، يريد النجاة لنفسه والعصمة لدينه. . . هرب مسرعاً تلقاء الباب، وهي تجري خلفه محاولة الإمساك به، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥]. فيه مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم والدين والعقل. كلاهما يجري، أحدهما يفر من المعصية، والآخر يلاحقها. الفعل واحد، ويتفاوت الجزاء بالنية.

عندما هرب يوسف نحو الباب، وامرأة العزيز تلحق به، كانت المفاجأة! قال تعالى: ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥].

سيدها ولم يقل: سيدهما لوجهين:

الأول: أن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يدخل في رق قط، وإنما اشتري ظلماً.

الثاني: لأن المسلم لا يُملك وهو السيد، ولا تكون السيادة للكافر على المسلم.

ومن أسباب عدم ذكر (زوجها) بدل (سيدها):

أنها بفعلها لن تستحق وصف الزوجية.

ومما قيل في فرار يوسف أنه فر بقوله ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ وبفعله ﴿وَٱسۡتَبَقَا﴾.



البراءة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤].

قال الرازي: وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف ـ عليه السلام ـ هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله ـ تعالى ـ فليقبلوا شهادة الله ـ تعالى ـ على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ـ يعني قوله ـ تعالى ـ على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

وقال ابن تيمية: يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يذكر الله ـ تعالى ـ عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، أو يستغفر منه أصلا. وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها.

المعصوم

ثم قال ـ رحمه الله ـ: وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد

عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا. فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه.

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصراً وإما تائباً. والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائباً، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفاراً كما ذكر عن غيره من الأنبياء؛ فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة، والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

و«المقصود» أن يوسف لم يفعل ذنباً ذكره الله عنه، وهو ـ سبحانه ـ لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف استغفاراً من هذه الكلمة، كما لم يذكر عنه استغفاراً من مقدمات الفاحشة؛ فعلم أنه لم يفعل ذنباً في هذا ولا هذا؛ بل هم هماً تركه لله؛ فأثيب عليه حسنة في موضعه.

ومن الأدلة على عدم وقوع الهم منه، قول الله ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ [يوسف: ٢٤]. ولم يقل كذلك لنصرفه عن السوء

والفحشاء. وبينهما من الفرق ما بينهما.

وقولها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥].

والهم بالشيء أشد من الإرادة له.

* وفي قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ [يوسف: ٢٤].

أن الله يعين أولياءه في اللحظات العصيبة بأمور تثبتهم، فهو كاد، لكن برهان من الله أراه إياه جعله ينصرف، ومهما كان المراد بهذا البرهان، فالإنسان لولا معونة الله وتوفيق الله وتسديده لا يثبت على الحق.

وفي الحديث: «**... ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين...**» [صحيح الجامع].



الهروب

لما هرب يوسف ـ عليه السلام ـ وهي تجري خلفه وأخذت قميصه من دبر، فكان زوجها بالباب، وسمع ما قال الشاهد ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٦ ـ ٢٨] وكان فيه قله غيرة فسكت عن الأمر.

مكر النساء

ولما شاع الخبر وانتشر في أرجاء البلد، ذكر الله ـ عز وجل ـ ما كان: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٣٠].

والتظاهر بالنصح واستنكار المنكر من أجل إظهار الفضل على الآخرين، أو الشماتة بهم، أو التنقص لهم ونشر أخبارهم، أمر شائع في زماننا هذا بين الرجال والنساء على حد سواء، وهو من الغيبة المحرمة التي تدل على ضعف التقوى، وقد سماه الله ـ تعالى ـ في هذه الآيات مكر ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١].

❊ المرأة تمكر بالمرأة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾، وتكيد بالرجل ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾.

والمكر هو: الاحتيال والخديعة.

قال السيوطي: هو إيصال المكروه إلى الإنسان حين لا يشعر.

والكيد هو: إرادة مضرة الغير خفية. وهو: الخبث والمكر والاحتيال والاجتهاد.

والكيد: قد يكون في الخير أو في الشر.

ففي الخير: قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما ذكر تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وفي الشر: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٧٠].

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

قال السعدي: الحذر من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ماجرى بسبب توحدّها بيوسف، وحبها الشديد له؛ الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه: فسجن بسببها مدة طويلة.

عبر قال ابن تيمية: وفي قول يوسف: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

عبرتان:

إحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى طاعته. وإلا فإذا لم يثبت القلب على الإيمان والطاعة وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

مكر امرأة

لا يزال قلب امرأة العزيز يغلي حقداً، ويزداد صبابة على يوسف، فإنه لما بلغها حديث النساء عنها، دعتهن وهي الآمرة الناهية، وقالت: اخرج عليهن؛ ليرين جماله فيعذرنها، ويرين ما رأت ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢].

بالغت امرأة العزيز في التوكيد عندما هددته بالسجن لأنها تملك أن تسجنه، فأكدت السجن بالنون الثقيلة ﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾ قيل: وذلك لتحققه، وما بعده بالنون الخفيفة: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ لأنه غير متحقق.

والمتأمل لسير العظماء على مر الزمان يلحظ بوضوح أن السجن لم يزدهم إلا رفعة، فالذلة والصغار، إنما تلحق من تلطخت سيرتهم بالمعاصي والظلم ولو لم يلحقهم العقاب، لأن مجرد انقيادهم للشيطان غاية في الذل والصغار، ولهذا قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال، ووطئت أعقابهم الرجال، فإن ذل المعصية لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

البديل الصعب

وعندما رأى يوسف عزيز مصر على الباب، وبدأت زوجته تنسج له امراً لم يقع من يوسف.. علم يوسف أن في الأمر ابتلاء، فقال:

﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣] من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله ـ كما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ وغيره من الأنبياء والصالحين ـ كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيماً وسروراً، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزناً وثبوراً، فكان السجن هو الحصن الحصين الذي هرب رضاً لربه من القصر إلى السجن...

التقوى

وفي هذا الموطن لابد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور. كما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ اتقى الله بالعفة عن الفاحشة، وصبر على أذاهم بالمراودة والحبس، واستعان الله ورعاه حتى يثبته على العفة، فتوكل عليه أن يصرف عنه كيدهن، وصبر على الحبس.

وهنا توجه بالدعاء والتضرع إلى ربه أن يحميه ويرفع ما نزل به ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ لا يجد يوسف ـ عليه السلام ـ ملجأ ولا ملاذاً من هذا الأمر العظيم إلا أن يفزع ويلجأ إلى ربه. فقد اغلقت الأبواب، واستحالت قوة الإنسان إلى ضعف بعد ممانعه وهرب.. وهو يخشى على نفسه الفتنة، وقد ضربت اطنابها والقت إليه بركابها. وفي قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨] ذكر بعض أهل العلم أنه في أمر النساء نظراً للسياق.

الإعانة

وبعد أن دعا يوسف ـ عليه السلام ـ ربه أن يصرف كيدهن عنه ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٤] حين دعاه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ﴾ فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من الوسائل حتى آيسها، وصرف الله عنه كيدها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾.

❊ ويوسف ـ عليه السلام ـ صبر في الجب والسجن صبر اضطرار، وصبر على مفارقة أمر امرأة العزيز والخوف من مقارفة الفاحشة صبر اختيار. فصبر الاضطرار لا يد له فيه، وصبر الاختيار هو ما رفعه وعظَّم منزلته عند الله ـ عز وجل ـ.

وإن كان له في صبر الاضطرار الأجر بحسب حمده وصبره ورضاه.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: فيوسف ﷺ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذى الخلق وحبسهم إذ أطاع الله، بل آثر الحبس والأذى مع الطاعة، على الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمته المرأة بالمال والرياسة، وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل والحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة مع الطاعة، على العز والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية.

قد قدم الخوف من الخالق على الخوف من المخلوق، وإن آذاه بالحبس والكذب فإنها كذبت عليه؛ فزعمت أنه راودها ثم حبسته بعد ذلك.

عبر الزمن

ثم أرادوا أن يطمر الأثر وينسى الأمر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسف: ٣٥] ولبثه في

السجن كان كرامة من الله في حقه؛ ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال؛ ولهذا قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾ [يوسف: ٩٠] ولو لم يصبر ويتق بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعاً من السجن لم يحصل له هذا الصبر والتقوى، وفاته الأفضل باتفاق الناس.

خطورة الأمر

قال شيخ الإسلام: فإن الزنا بامرأة الغير فيه حقان مانعان، كل منهما مستقل بالتحريم. فالفاحشة حرام لحق الله ولو رضي الزوج، وظلم الزوج في امرأته حرام لحقه، بحيث لو سقط حق الله بالتوبة منه فحق هذا في امرأته لا يسقط، كما لو ظلمه وأخذ ماله وتاب من حق الله لم يسقط حق المظلوم بذلك، ولهذا جاز للرجل إذا زنت امرأته أن يقذفها ويلاعنها، ويسعى في عقوبتها بالرجم، بخلاف الأجنبي فإنه لا يجوز له قذفها ولا يلاعن، بل يحد إذا لم يأت بأربعة شهداء، فإفساد المرأة على زوجها من أعظم الظلم لزوجها، وهو عنده أعظم من أخذ ماله.

الدعوة في كل مكان

ثم هاهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم... سلالة أنبياء يقاد إلى السجن ويوضع بين جدران أربعة... لكنه الرجل المبارك والإنسان المحسن.

لما دخل يوسف السجن، أحسن إلى من فيه بالدعوة إلى التوحيد والإيمان.

فدعا ذلك الإحسان والفضل إلى من حوله أن يسألوه عن تعبير رؤيا وقعت لاثنين منهم.

قال تعالى: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ أي: أخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤول إليه أمرنا، إنا نراك من الذين يحسنون تفسير الرؤيا، فأحسن إلينا كما أحسنت إلى غيرنا، وأخبراه عن رؤياهما، وكان يوسف ـ عليه السلام ـ قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم.

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [يوسف: ٣٦] لجأ أهل السجن إلى يوسف لتعبير رؤياهم، وهم لا يعرفون أنه من أهل العلم، ولا يعلمون أنه معبر للرؤى من قبل، فهم من الكفار والملك كافر والبلدة كافرة؛ ولأن أهل الصلاح يظهر صلاحهم على وجوههم، والناس يحبونهم وينجذبون إليهم، فإن أهل السجن قالوا بعده: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: ٣٦] حالتك وسيرتك وهيئتك وأفعالك تدل على أنك من المحسنين والصالحين.

❊ قال في فتح المجيد: لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله ـ تعالى ـ عن نبيه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، فقوله: ﴿مِن شَىْءٍ ۚ﴾ نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.

الإحسان

فأجابهما يوسف ـ عليه السلام ـ إلى طلبهما، امهالاً للتفكير، وترغيبا لهما في الاستماع:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ﴾

أي: لا يأتيكما شيء من الطعام، إلا أخبرتكما ببيان حقيقته وماهيته وكيفيته قبل أن يصل إليكما، أخبرهما بمعجزاته ومنها معرفة المغيبات توطئة لدعائهما إلى الإيمان، في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما.

أراد أن يدعوهما إلى التوحيد ويرشدهما إلى الدين القويم قبل أن يسعفهما إلى ما سألاه عنه، كما هي طريقة الأنبياء في الهداية والإرشاد، فقدم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير.

فدعاهما إلى التوحيد وعبادة الله وحده بدليل عقلي ليهدم ما في نفوسهم من الشرك وليبين لهم الدين الحق.

بقوله: ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩].

لم تمنعه ظلمة السجن ولا سماكة الجدران، ولا أعين الحراس التي لا تنام من الدعوة إلى التوحيد، والقيام بأمر هداية الخلق والإحسان إليهم، وقد أحسن إلى السجناء بتعبير الرؤيا، وما أكثر ما يرى السجناء من أحلام والمهمومون من رؤى.. تفسح لهم في الأمل، ويأنسون لها في ظلام الليل الحالك والوحدة المفرطة.

ثم عرفهما بدينه: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧] قال النسفي: المراد به ترك الابتداء، لا أنه كان فيها ثم تركها.

ثم عبر لهما الرؤيا على ما ذكر الله ـ عز وجل ـ ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ﴾ [يوسف: ٤١].

قال ابن كثير: ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذاك، ولهذا أبهمه.

الطلب من الغير

وعندما عرف يوسف بخروج أحد المساجين من تعبيره للرؤيا وأنه سوف يكون خادماً للملك ومقرباً منه.. ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: قال يوسف للذي اعتقد نجاته وهو الذي رأى أنه يعصر خمراً: اذكرني عند سيدك وأخبره عن أمري وشأني، لعله يخرجني مما أنا فيه.

أنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله ـ تعالى ـ، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف، الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاءه فمكث يوسف في السجن نسياً منسياً.

قال الحسن: لولا كلمة يوسف ـ يعني قوله ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ ـ ما لبث في السجن ما لبث، قال: ثم يبكي الحسن ويقول: ينزل بنا الأمر؛ فنشكو إلى الناس.

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: مكث يوسف في السجن سبع سنين. قال المفسرون: وإنما لبث في السجن بضع سنين، لأنه اعتمد ووثق بالمخلوق، وغفل أن يرفع حاجته إلى الخالق ـ جل وعلا ـ.

قال وهب ابن منبه: أقام أيوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين.

سؤال الملك

ثم قدر الله قدراً من أقداره، وذلك أن الملك رأى رؤيا أفزعته وطلب من يعبرها، ولكنها لم تشف غليله ولم تغن عما في نفسه شيئاً، فأخذ يتلمس من يؤول الرؤيا، حتى ساق الله له ذلك الخادم الذي كان في السجن، وهو يعرف يوسف حق المعرفة ويعرف حسن تأويله، فذكر ذلك للملك، وقال يوسف هو الذي يؤولها. . وكان الملك قد نسي يوسف وقصته التي طوى عليها الزمن، واندثرت

حكايتها بين الناس لطول المكث في السجن.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ﴾ أي: ولما رجع الساقي إلى الملك وعرض عليه ما عبَّر به يوسف رؤياه واستحسن ذلك، قال لمن عنده: احضروه لي لأسمع منه تفسيرها بنفسي ولأبصره، فقد رغب في رؤيته ومعرفة حاله بعد أن علم من فضله وعلمه من وصف الرسول له ومن تعبيره لرؤياه.

قال السعدي: فضيلة العلم: علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا وعلم التدبير والتربية، وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز، والرفعة، والتمكين في الأرض فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

الحق ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: فلما جاء رسول الملك وأخبر يوسف بالأمر واستدعاه إلى حضرة الملك، وأمره بالخروج من السجن. امتنع يوسف عن المبادرة إلى الخروج من السجن، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام، وقال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك الملك.

﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ ﴾ أي: سله عن قصة وشأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن هل يعلم أمرهن؟ وهل يدري لماذا حُبست ودخلت السجن؟ وأني ظلمت بسببهن؟

أبى ـ عليه السلام ـ أن يخرج من السجن حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة والخيانة، ويصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، وأن يعلم الناس جميعاً أنه حبس بلا جرم.

وقوله ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ﴾ حيث سكت عن امرأة العزيز رعاية لذمام الملك العزيز، أو خوفاً من كيدها وعظيم شرها، وذكر السؤال عن تقطيع الأيدي، ولم يذكر مراودتهن له تنزهاً منه عن نسبة ذلك إليّهن، ولذلك لم ينسب المراودة إلى امرأة العزيز إلا بعد أن رمته بدائها وأنسلت. واكتفى هنا بالإشارة بقوله:

﴿ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ ﴾ [يوسف: ٥٠].



الخروج من السجن

الرؤيا وقدر الله قدراً برؤيا الملك، وهو أن يخرج يوسف ليسمع الملك تأويلها منه مباشرة، وليرى عقله وسماته الطيبة وفضائلة الجمة:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف: ٤٦].

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه، لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم، فإن يوسف ـ عليه السلام ـ قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى، وجاءه سائلاً مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه لتركه ذكره، بل أجابه عن سؤاله جواباً تاماً من كل وجه.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٨].

وقد مزج تعبيره بإرشاد جليل لأحوال التموين، والادخار لمصلحة الأمة.

التعريف بالنفس

ولما علم يوسف من نفسه الأمانة والقوة وهو يرى ما يجري من الظلم في البلاد: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٥].

لا يلزم أن يكون كل من ذكر حقاً عن نفسه، وإن كان فيه مدح لها ـ مزكياً لها ـ فقد يذكر هذا الحق عن النفس لمصلحة الآخرين فيكون من جملة قول الحق السائغ وإن انطوى على تزكية غير مرادة، فهنا توسل بها إلى إحقاق حق مطلوب، وهذا كثير في السنة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» أراد بذلك الخير الحاض على الثبات.

نفع الخلق

وهكذا رفع الله يوسف، وقربه الملك وجعله على خزائن الأرض، يدبر الأموال ويجري الخيرات على يديه.

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف: ٥٦].

قال القصاب: فيها عدة فوائد، منها: إطلاق الكل وإرادة البعض، فيوسف لم يمكن له في جميع الأرض، بل مكن له في أرض مصر ونواحيها.

ومنهـــا: أن الطاعة تثمر الرزق فـــي الدنيا، ويعطى المؤمن الأجر عليها، ولا ينقص ذلك من ثوابه في الاخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ٥٦].

فبعد ســـجنه الضيق عوضه الله بالأرض الوســـيعة ملكاً وحاكماً يتصرف في خزائنها.



الأب المكلوم

أما حال يعقوب ـ عليه السلام ـ؛ فلا تسأل عن حال أب مكلوم فقد صغيره، ومن كثرة البكاء فقد عينه! سنوات طويلة ويعقوب صابر يشتكي إلى الله همه وغمه، وكربه ومصابه! وهو لا يعلم ما جرى لابنه..

وكانت أرض يعقوب وقومه مجدبة مع قلة مطر.. فكانوا يقصدون مصر لينالوا من أعطيات ملكها.. فعرفهم يوسف وقال:

﴿ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ۝٦٠﴾ [يوسف: ٥٩ ـ ٦٠].

❊ بدأ ـ عز وجل ـ بذكر قصة يعقوب وأبنائه لما أتوا إلى يوسف وهو على خزائن مصر، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾.

محاولة أخرى

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ أي: فلما عادوا إلى أبيهم، قالوا له ـ قبل أن يفتحوا متاعهم ـ يا أبانا لقد أنذرنا بمنع

الكيل في المستقبل إن لم نأت بأخينا بنيامين، فإن ملك مصر ظن أننا جواسيس، وأخبرناه بقصتنا فطلب أخانا ليتحقق صدقنا.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ أي: أرسل معنا أخانا بنيامين لنأخذ ما نستحقه من الحبوب التي تكال لنا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا:

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي: نحفظه من أن يناله مكروه، أو أن يعرض له ما يكره.

الخوف مرة أخرى

هنا قال الأب المفجوع بابنه الأول:

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: قال لهم يعقوب: كيف آمنكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم بعد أن ضمنتم لي حفظه، ثم خنتم العهد، فأخاف أن تكيدوا له كما كدتم لأخيه؟ فأنا لا أثق بكم ولا بحفظكم، وإنما أثق بحفظ الله.

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ أي: حفظ الله خير من حفظكم فهو يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده عليَّ، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: هو أرحم من والديه وإخوته، فأرجو أن يمُنَّ عليَّ بحفظه ولا يجمع عليَّ مصيبتين. وكأنه ـ عليه

السلام ـ ذكرهم بالرحم وحقه من شده ما يجد.

قال كعب: لما قال يعقوب فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الله ـ تعالى ـ وعزتي وجلالي لأردن عليك كليهما.

العين حق

ورغم حزن يعقوب إلا أنه الأب الحاني يشفق على أبناءه، ولكثرة أبناء يعقوب وحسنهم وجمالهم، قال لهم ـ عليه السلام ـ منبهاً وموجهاً:

﴿وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾.

أي: وقال لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده: لا تدخلوا مصر من باب واحد.

قال المفسرون: خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين لكونهم أبناء رجل واحد، إذ كانوا أهل جمال وهيبة، وفي الحديث «**إن العين تُدخل الرجل القبر، والجمل القدر**» [رواه مالك في الموطأ] فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم.

﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ أي: وهذا سبب؛ ولا أدفع عنكم بتدبيري شيئاً مما قضاه الله عليكم، فإن الحذر لا يدفع القدر، والمقدر لا بد أن يكون.

❋ ثم ذكر ـ تعالى ـ ما جرى عندما أتى إخوة يوسف إليه ومعهم أخوهم بنيامين وهو شقيق يوسف، وكان من مراد يوسف ـ عليه

السلام ـ أن يستبقي أخاه عنده، فكان أن صنع أمراً وهو إخفاء صواع الملك في وعاءه، حتى يبقى لديه ويأخذوه من إخوته.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

كيد العظيم

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فكاد الله له أحسن كيد، وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدي إخوته بغير اختيارهم، كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه في الأرض يتبوأ منها حيث شاء، وكاد له في تصديق النسوة اللاتي كذبنه وراودته حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له تكذيب امرأة العزيز لنفسها واعترافها بأنها هي التي راودته وأنه من الصادقين، فهذه عاقبة من صبر على كيد الكائد بغياً وعدواناً.

حال النبي ﷺ

ومع أن يوسف ـ عليه السلام ـ عانى من المصائب، ونالته الهموم، والغموم ونزل به الأذى، إلا أن نبينا محمد ﷺ ناله أعظم من ذلك وأكثر.

قال ابن تيمية: واختيار النبي ﷺ له ولأهله الاحتباس في شعب بني هاشم بضع سنين، لا يبايعون ولا يشارون؛ وصبيانه يتضاغون

من الجوع، قد هجرهم وقلاهم قومهم وغير قومهم. هذا أكمل من حال يوسف ـ عليه السلام ـ.

فإن هؤلاء كانوا يدعون الرسول إلى الشرك، وأن يقول على الله غير الحق، يقول: ما أرسلني ولا نهى عن الشرك. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

وكان كذب هؤلاء على النبي ﷺ أعظم من الكذب على يوسف؛ فإنهم قالوا: أنه ساحر، وأنه كاهن، وأنه مجنون، وأنه مفتر. وكل واحدة من هؤلاء أعظم من الزنا والقذف؛ لا سيما الزنا المستور الذي لا يدري به أحد. فإن يوسف كذب عليه في أنه زنى، وأنه قذفها وأشاع عنها الفاحشة؛ فكان الكذب على النبي ﷺ أعظم من الكذب على يوسف.

وكذلك الكذب على أولى العزم، مثل نوح وموسى، حيث يقال عن الواحد منهم: أنه مجنون، وأنه كذاب، يكذب على الله. وما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين أعظم من مجرد الحبس، فإن يوسف حبس وسكت عنه. والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يؤذون

بالأقوال والأفعال مع منعهم من تصرفاتهم المعتادة. وهذا معنى الحبس، فإنه ليس المقصود بالحبس سكناه في السجن بل المراد منعه من التصرف المعتاد.

درجات

قال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف: ٧٦].

في هذه الآية بيان فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية، وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف ـ بسبب جماله ـ حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

❊ قال إخوة يوسف في طلب ذهاب يوسف معهم: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا﴾، ثم لما تغيرت الحاجة وزال التلطف: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف: ٧٧].

صبر الأب

وهكذا أخذ يوسف أخاه وأبقاه عنده، ورغم محاولاتهم إلا أن يوسف رفض، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٧٨ ـ٨٣].

ثم ما كان من أمر يعقوب ـ عليه السلام ـ إلا أن:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي: زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً ومكيدة فنفذتموها، اتهمهم بالتآمر على بنيامين لما سبق منهم في أمر يوسف.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: لا أجد سوى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، محتسباً أجري عند الله.

ثم لجأ إلى الله طامعاً في حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، والكربة عظمت، فقال:

ترقب الفرج

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ عسى أن يجمع الله شملي بهم، ويقر عيني برؤيتهم جميعاً يوسف وبنيامين، وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ أي: العالم بحالي واحتياجي إلى تفريجه ومنته، واضطراري إلى إحسانه. الحكيم في تدبيره

وتصريفه، الذي جعل لكل شيء قدراً، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وتولى يعقوب ـ عليه السلام ـ وأعرض عن أولاده كراهة لما سمع منهم وبما أخبروه، واشتد به الأسف والأسى.

وقال: يا لهفي ويا حسرتي وحزني على يوسف، أضاف الأسف وهو أشد الحزن، والحسرة إلى نفسه. وإنما تأسف عليه دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين، وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضاً عنده طريّاً.

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر الذي مدح به يعقوب؟

أحدهما: أنه شكا إلى الله لا منه.

والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم أسفي على يوسف.

وقال ابن الأنباري: الحزن ونفور النفوس من المكروه والبلاء لا عيب فيه، ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم، ولم يشتك من ربه، فلما كان قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم.

شدة الحزن

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ أي: فقد بصره وعشي من شدة البكاء على ولديه من شدة الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء، إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر.

قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب.

واستمر حزن يعقوب على ابنه يوسف حتى سقط حاجباه على عينيه كما جاء عن بعض السلف، فكان يرفعها بخرقة، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ أي: مملوء القلب كمداً وغيظاً ولكنه يكتم ذلك في نفسه، وهو مغموم ومكروب لتلك الداهية الدهياء، فقد ظهر منه ماكمن من الهم القديم والشوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنسبة للأولى، وإنما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخوية؛ لأن ذكر يوسف كان آخذاً بمجامع قلبه لا ينساه، ولأن يوسف فقد وهو صغير، والصغير له رحمة وشفقة، ولأنه كان واثقاً بحياتهما طامعاً في إيابهما، وأما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله، والحزن الجديد يقوي الحزن القديم الكامن في النفس، والأسى يبعث الأسى ويثير الأحزان.

الغفلة عن الله

فقال له أولاده متعجبين من حاله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ أي: قال أولاد يعقوب، ولا تزال تذكر يوسف وتتفجع عليه في جميع أحوالك، وقد طويت صفحته، ونسي أثره...

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: قال لهم يعقوب: لست أشكو غمي وحزني إليكم. وإنما أشكو ذلك إلى الله فهو الذي تنفع الشكوى إليه فقولوا ما شئتم، فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الشكوى إلى المخلوقين.

قيل: البث أشد الحزن، سمى بذلك؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه ويظهره.

قال ابن الجوزي: فليجعل العاقل شغله خدمة ربه، فما له على الحقيقة غيره، وليكن أنيسه وموضع شكواه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] فلا تلتفت أيها المؤمن إلا إليه، ولا تعول إلا عليه، وإياك ألا تعقد خنصرك إلا على الذي نظمها.

❋ ثم قال يعقوب ـ عليه السلام ـ وهو العارف بربه: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ أي: أعلم من رحمته وإحسانه مالا تعلمون أنتم، فأرجو أن يرحمني ويلطف بي، ويأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، ويردهم عليَّ، ويقر عيني بالاجتماع بهم.

حرمان الرزق

أما حال إخوة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

أي: يثيب المحسنين أحسن الجزاء.

ثم قال إخوه يوسف: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف: ٨٨] وقعوا في الذنب حتى آل بهم الأمر إلى طلب الصدقة، وتأمل في شؤم المعصية التي فعلوها بأخيهم، فأصبحوا يمدون أيديهم إليه ليتصدق عليهم. وفي الحديث: «**إن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه**».

رحمة يوسف

ولما بلغ بهم الأمر إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار أدركت يوسف ـ عليه السلام ـ الرأفة والرقة فارفضّ دمعه وطوى ما جرى له، ونسي ما وقع له..

نسي الجب والسجن وما مر به من أحداث، ولم يتمالك أن باح لهم بما كان يكتمه من أمره:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

أي: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه.

أما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله والله أعلم قولهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ﴾ والغرض تعظيم الواقعة

كأنه يقول: ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه.

وإنما قاله نصحاً لهم، وتحريضاً على التوبة، وشفقة عليهم لا تشفياً واستعلاءً.

وعندها بدأ يوسف بالحديث: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف: ٨٩].

قيل: من تلطفه بهم قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ كالاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم، وهم ولو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلقوا عذراً كهذا.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ حال شبابكم وطيشكم؟ وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم أو توبيخ لهم، إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم، فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف.

وهنا قاعدة قرآنية محكمة، وشواهدها لا تحصى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠] الأمر مشروط بشرطين عظيمين: التقوى، والصبر.

العفو

فاعتذر إخوة يوسف له ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١].

فقبل عذرهم، ونسى فعلهم، وعفى عما جرى ثم تجلت صفة الأنبياء، ونبل الأتقياء، وخلق الأصفياء، فقال لهم يوسف مؤنساً داعياً:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

أي: قال لهم يوسف كرماً وجوداً: لا عتب عليكم اليوم ولا عقوبة، بل أصفح وأعفو. ثم دعا لهم بالمغفرة، وهذا زيادة تكريم منه لما فرط منهم.

قال ابن جزي: أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾، ثم دعا الله أن يغفر لهم حقه.

وهو ـ جل وعلا ـ المتفضل على التائب بالمغفرة والرحمة، أرحم بعباده من كل أحد، فسمح لهم يوسف سماحاً تاماً، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، لأنه يجرحهم ويحزنهم. ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين.

السؤال عن الأب

لم يغب عن يوسف وهو يرى إخوته أن يسأل عن أبيه ويستطلع أمره، فسألهم عن أبيهم، فقالوا: ذهب بصره من الحزن فعند ذلك أعطاهم قميصه، وأراد يوسف تبشير أبيه بحياته، وإدخال السرور عليه بذلك لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص لما كان فيه

أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم، أراد أن يشمه فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر. وقد ذكر شيخ الإسلام أن أطباء العرب يداوون المرض بجنسه بخلاف غيرهم. ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: ٩٣].

حال الأب

أما حال الأب فأمر آخر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ أي: خرجت من عريش مصر إلى الشام. قال يعقوب لمن حضر من قرابته، إني لأشم رائحة يوسف، لولا أن تسفهوني وتنسبوني إلى الخرف، وهو ذهاب العقل. وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف تقديره لأخبرتكم أنه حي.

قيل: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف، وبينهما مسيرة ثمان ليال.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ أي: فوقع ما ظنه بهم، فقال حفدته ومن عنده: والله إنك لفي خطأ وذهاب عن طريق الصواب، قديماً في إفراط محبتك ليوسف.

القميص يعود

قال المفسرون: وإنما قالوا ذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ﴾ أي: فلما جاء المبشر بالخبر السار، وطرح البشير القميص على وجه يعقوب، فعاد على حاله الأولى بصيراً، وعادت إليه قوته بعد الضعف لما حدث له من السرور والانتعاش.

قال مجاهد: كان البشير أخاه يهوذا الذي حمل قميص الدم، فقال: أُفرحه كما أحزنته.

ثلاث آيات

قيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات: حيث بدأ حزن يعقوب مع قميص الكذب ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ﴾ [يوسف: ١٨].

وانتهى حزنه بقميص الشفاء ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: ٩٣].

وبينهما قميص البراءة ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ....﴾ [يوسف: ٢٦].

الإقرار والندم

أما ما كان من أخوه يوسف فهو الندم والتوبة وتوجهوا إلى أبيهم: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قال يعقوب ـ عليه السلام ـ لأبنائه: ألم أخبركم بأني أعلم ما لا تعلمونه من حياة يوسف، وأن الله سيرده عليَّ لتحقق الرؤيا.

قال المفسرون: ذكرهم بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف: ٨٦].

روي أنه سأل البشير كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر، قال: ما أصنع بالملك! على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة، فأقروا بذنبهم ونجوا بذلك.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾ طلب أبناؤه أن يستغفر لهم لما فرط منهم، ثم اعترافوا بخطئهم بقولهم: أنا مخطئين فيما ارتكبنا مع يوسف حيث فعلنا ما فعلنا.

قال المهايمي: صرحوا بالذنوب دون الله، لزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلب عليهم النظر إلى قهره وصرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته التي ربى بها الكل، وهذا من دقائق لطائف التنزيل ومحاسنها فيه.

الأب الرحيم

عندها قال يعقوب ـ عليه السلام ـ، مجيباً لطلبتهم، ومسرعاً لإجابتهم، ووعدهم بالاستغفار ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾.

قال المفسرون: أخر الاستغفار إلى السحر الفاضل ليكون أقرب إلى الإجابة، وقيل: أخره إلى يوم الجمعة ليتحرى ساعة الإجابة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾ قدم الثناء على ربه، أي: الساتر للذنوب الرحيم بالعباد، ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته.

❊ ثم تتحدث الآيات عن مجيء أسرة يعقوب بأهلهم إلى مصر، ودخولهم على يوسف وهو في عز السلطان وعظمة الملك، وتحقيق الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر له مع أبيه وأمه، واجتماع الشمل بعد الفرقة، وحلول الأنس بعد الكدر. حيث تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكناها. وفي تلك السنوات الماضية دليل على ابتلاء الله ـ عز وجل ـ لأنبيائه وأصفيائه بالشدة والرخاء، والسرور والحزن، واليسر والعسر، ليستخرج منهم عبوديته في الحالين، بالشكر عند الرخاء، والصبر عند الشدة والبلاء، فتتم عليهم بذلك النعماء.

اللقاء قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝٩٩﴾ أي: فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوهم على يوسف ضم إليه أبويه واعتنقهما واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام شيئاً عظيماً.

وقال لجميع أهله مُرحباً: ادخلوا بلدة مصر آمنين من كل مكروه.

وقد كانوا فيما مضى يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجواز

منهم، وإنما قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تبركاً وتيمناً، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة.

الاحترام

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أي: أجلسهما على سرير الملك ومجلس العزيز بجانبه. وسجد له أبوه وأمه وإخوته حين دخولهم عليه، وكان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة.

ومن الإحسان إلى الوالدين وأكرامهما أن تبدأ بهما عندما تصيب خيراً، فهم أحق الناس برد الجميل مثلما فعل يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

تحقق الرؤيا

ولما ارتاحت الأنفس ودنا القرب، وطاب الفرح... استعاد يوسف رؤياه القديمة أيام الصبا وحدث والده.. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: قال يوسف: لما رأى هذه الحال ورأى سجودهم له: هذا تفسير الرؤيا التي رأيتها في منامي وذلك حين رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت.

الشكر

قيل بين رؤيا يوسف وتحققها أربعين سنة.

ثم ذكر نعمة الله عليه وفضله؛ شاكراً ومثنياً: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ أي: أنعم عليَّ ربي بإخراجي من السجن، و

هذا من لطفه وحسن خطابه فلم يذكر قصة الجب مع كونه أشد بلاء من السجن، تكرماً منه لئلا يخجل إخوته ويذكرهم صنيعهم لتمام عفوه عن إخوتــه، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلى الملك.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ أي: جاء بكم من البادية لأنهم كانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين، ذكرهم بنعمة الله على آل يعقوب حيث نقلهم من البادية إلى الحضر واجتمع شمل الأسرة بمصر، وذكر إتيانهم في البادية من إحسان الله إليه، فلم يقل: جاء بكم الجوع والنصب، ولا قال «أحسن بكم» بل قال: ﴿أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ جعل الإحسان عائداً إليه.

الاعتذار لإخوته

وقد ذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم وهم أقل مــن مائة، وخرجوا منها يوم خرجوا وهم زيادة على ستمائة ألف.

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾

أي: أفســد ما بيني وبين إخوتي بالإغواء، وذكر هذا القدر من أمر إخوته لأن النعمة إذا جاءت إثر بلاء وشــدة كانت أحســن موقعاً، ومن تمام أدبه لم يقل «نزغ الشيطان إخوتي» بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين.

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠] إن ربي لطيف التدبير، يحقق مشيئته بلطف ودقة خفية لا يحسها الناس ولا يشعرون بها، وقد يوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها.

العليم الحكيم

وحقيقة اللطيف الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق.

ولما تقلبت الأحوال بيوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتطورت به الأطوار، عرف أن هذه الأشياء وغيرها لطف من لطف الله له، فاعترف بهذه النعمة فقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

وهذا من أعظم نعم الله على العبد، أن يعرض أحواله التي تمر به على معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى؛ فإن هذا له فائدتان:

الأولى: زيادة الإيمان.

الثانية: سهولة تلقي المصائب المؤلمة، وهذا يزداد حين يبلغ العبد منزلة الرضا عن الله، بحيث يوقن أن اختيار الله خير من اختياره لنفسه.

وإن من أسماء الله الحسنى التي تكرر ذكرها في كتاب الله ـ تعالى ـ، ولها أثرها البالغ في حياة العبد ـ لمن فقه معناها وعمل بمقتضاها ـ: اسم الله اللطيف الذي تمدح ـ سبحانه ـ به في

مواضع من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

خبيئة

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: قرأت سورة يوسف ـ عليه السلام ـ، فتعجبت من مدحه على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره، فتأملت خبيئة الأمر فإذا هي مخالفته للهوى المكروه، فقلت: واعجبا لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما خالفه لقد صار أمراً عظيماً تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فيا له عزاً وفخراً، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.



ولما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، وجمع شمله وأقر عينه بأبويه وإخوته، وتم أمره على أن نعيم الدنيا لا يدوم، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقراً بنعمة الله، شاكراً لها، داعياً بالثبات على الإسلام؛ تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد، واشتاق إلى لقاء الله، وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق، وسأل الله ـ تعالى ـ حسن العاقبة، فقال تعالى:

الاعتراف ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: أعطيتني العز والجاه والسلطان، وذلك من نعمة الدنيا حيث إنه كان على خزائن الأرض وتدبيرها، ووزيراً كبيراً للملك.

وعلمتني من تأويل أحاديث الكتب المنزلة، وتأويل الرؤيا، وغير ذلك من نعمة العلم.

الدعاء ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: أنت يا رب متولي أموري وشؤوني في الدارين، اقبضني إليك

مسلماً وثبتني عليه حتى توفاني عليه، واجعل لحاقي بالصالحين.

ابتهل إلى ربه أن يحفظ عليه إسلامه حتى يموت عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت.

التسلية

وإلى هنا تنتهي قصة يوسف الصديق، ثم يأتي التعقيب بعد ذلك بإقامة البرهان على صحة نبوة محمد ﷺ، قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ۝١٠٢ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾ ذلك النبأ الذي أخبرناك عنه ـ يا محمد ـ من أمر يوسف وقصته، من الأخبار الغيبية التي لم تكن تعلمها قبل الوحي، وإنما نعلمك نحن بها عن طريق الوحي، على أبلغ وجه وأدق تصوير، ليظهر صدقك في دعوى الرسالة.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ۝١٠٢﴾ أي: وما كنت حاضراً مع إخوة يوسف حين تآمروا على أخيهم وأجمعوا أمرهم على إلقائه في الجب، وهم يحتالون ويمكرون به وبأبيه ليرسله معهم، وهم في حالة لا يطلع عليها إلا الله ـ تعالى ـ، فإنك ـ يا محمد ـ لم تشاهدهم حتى تقف على حقيقة القصة وإنما جاءتك بوحي من العليم الخبير.

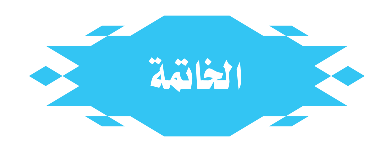
الغفلة

ثم يخبر ـ تعالى ـ عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥ ـ١٠٦].

تحذير من الشـــرك الخفي الذي يدب إلى قلب الإنسان أخفى من دبيب النمل، والآية تتحدث عن المؤمنين، لكنها لا تبرئهم من قوع الشرك منهم. فالتوحيد أعظم ما يحمله المرء في قلبه، إذا به دخول الجنة برحمة الله.

❁ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

والعبرة من الاعتبار، والاتعاظ والتذكر، وإذا تأملت الآية السابعة ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧] والآية الأخيرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ﴾ ومـــا بينهما وما قبلهما من آيات وجدت بعضها يصدق بعضـــاً، ووجدت في ما بينهما الأكبر الذي يمكن أن يكون له عظيم الأثر في حياة الأمة إذا أخذت به كما أخذ به محمد ﷺ، وإذا تأثرت به كما تأثر السلف.



الخاتمة

ثم ختمت السورة الكريمة بخاتمة حميدة بعدما جرى ليوسف ـ عليه السلام ـ، وفيها تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش، كأنه يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة؛ عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك، فأنت مع مخالفة قومك إياك في الدين أحرى أن تصبر على أذاهم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لقد كان في قصة يوسف وإخوته عظة وتذكرة لأولي العقول النيرة يعتبرون بها، حيث نقل من غاية الحب إلى غيابة الجب، ومن الحصير إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر وخامة وندامة.

سلوى الحزين

ونختم بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: وفي قصص هذه الأمور عبرة للمؤمنين بهم، فإنهم لا بد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلى به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فليتيقن المرتاب، ويتوب المذنب، ويقوى إيمان المؤمنين فيها، يصح الاتساء بالأنبياء، كما في

قولــه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذه الماحات ووقفات من قصة يوســف ـ عليه السلام ـ يقرأها المسلم ويعتبر، ويتســلى بها المصاب ويصبر، فإن العاقبة للتقوى، والدنيا بطولها وعرضها دار ممَر لا دار مقر، والموفق من جعل أيامها في طاعة الله وعمرها بالخيرات.

والحمــد لله رب العالمين، وصلى الله وســلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

المقدمة	٥
سورة يوسف	٧
قصة يوسف	٧
نظم الآيات	٨
مراتب الصبر	٩
مراتب العدل والعفو	٩
تسلية للرسول ﷺ	١٠
عاقبة التقوى	١١
سلوى القلب	١١
الإعجاز	١٢
الآيات المعجزات	١٣
أحسن القصص	١٤
الرؤيا	١٦
التعبير	١٦
النعمة	١٨

بداية الطريق........................	١٩
الجب........................	٢٠
القميص........................	٢١
امرأة العزيز........................	٢١
غالب على أمره........................	٢٢
بداية التمكين........................	٢٤
الامتحان الصعب........................	٢٤
الفرار........................	٢٦
البراءة........................	٢٨
المعصوم........................	٢٨
الهروب........................	٣١
مكر النساء........................	٣١
عبر........................	٣٢
مكر امرأة........................	٣٣
البديل الصعب........................	٣٤
التقوى........................	٣٥
الإعانة........................	٣٥
عبر الزمن........................	٣٦

خطورة الأمر ٣٧
الدعوة في كل مكان ٣٧
الإحسان ٣٩
الطلب من الغير ٤٠
سؤال الملك ٤١
الحق ٤٢
الخروج من السجن ٤٤
الرؤيا ٤٤
التعريف بالنفس ٤٤
نفع الخلق ٤٥
الأب المكلوم ٤٧
محاولة أخرى ٤٧
الخوف مرة أخرى ٤٨
العين حق ٤٩
كيد العظيم ٥٠
حال النبي ﷺ ٥٠
درجات ٥٢
صبر الأب ٥٢

ترقب الفرج........................... ٥٣
شدة الحزن........................... ٥٥
الغفلة عن الله........................... ٥٦
حرمان الرزق........................... ٥٧
رحمة يوسف........................... ٥٧
العفو........................... ٥٨
السؤال عن الأب........................... ٥٩
حال الأب........................... ٦٠
القميص يعود........................... ٦١
ثلاث آيات........................... ٦١
الإقرار والندم........................... ٦١
الأب الرحيم........................... ٦٢
اللقاء........................... ٦٣
الاحترام........................... ٦٤
تحقق الرؤيا........................... ٦٤
الشكر........................... ٦٤
الاعتذار لإخوته........................... ٦٥
العليم الحكيم........................... ٦٦

خبيئة ٦٧
حسن الخاتمة ٦٨
الاعتراف ٦٨
الدعاء ٦٨
التسلية ٦٩
الغفلة ٧٠
الخاتمة ٧١
سلوى الحزين ٧١
الفهرس ٧٢